عوامل التغير الاجتماعي في فكر محمد فتح الله كولن

د. محمد حمد محمد أحمد*

مدخل

تنخرط المجتمعات الإسلامية اليوم في واقع يتغير بصورة متسارعة، وهي ليست بمنأي عن التأثر بالأحداث والتحولات، بل تتغير بصورة من الصور. والسؤال هو كيف نجعل مجتمعاتنا الإسلامية تتغير إيجاباً في ضوء ما يحدث وسيحدث؟ وكيف نسهم في صناعة الأحداث وإدارة التحولات ونصير أحد عناصر التوازن؟ وكيف تصنع فاعليتنا الحضارية حتى نشهد أمتنا الإسلامية تسود وتقود العالم عبر رؤيتها للعالم وفي حلتها الحضارية ونسيجها الثقافي؟.

الدافع لطرح هذه التساؤلات هو أن التداول التاريخي لم يحصر السموق ولا الهبوط في قارة بعينها أو في عصر بعينه أوحضارة بعينها.وهذا ما يجعلنا متفائلين بصعود فاعلية الحضارة الإسلامية وقيادتها للعالم، وهي مؤهلة لذلك لما لها من الصفات والميزات العالمية والتي تجعلنا في لحظة استعداد للانبعاث والارتقاء والبعث والنهوض من جديد، برغم ما نعيشه من حالة الاضطراب والانكسار والقلق.

لقد قدم كولن إجابات شافية للتساؤلات السابقة، وهي: إذا أردنا أن ننهض علينا أولا أن نحدد عوامل الضعف فينا ومن ثم نضع الحلول والمعالجات.

حاول كولن إيقاظ الأمة الإسلامية بالتنبيه لأهم عوامل الانحطاط والنهوض المجتمعي. وقام بتبصير الأمَّة الإسلامية بواجباتها ودورها في عملية التغير الحضاري، وعمل على تسليحها بالعلم والمعرفة، ونشر الثقافة الإسلاميَّة الصحيحة بين المسلمين من خلال مشروع الخدمة الإصلاحي ومؤسساته.

لقد قدم كولن من خلال مشروع الخدمة منهجاً إصلاحياً لحال الأمة الإسلامية، بعد ما شخص أمراض هذه الأمة ،إذ يرى أن الأمة الإسلامية قد أصابها التراجع الخطير وبدأت تعاني من حالة تأزم إبداعي نتيجة لمجموعة من العوامل هي: الجهل، ومشكلات التعليم، والاختلاف والتفرق، وتفشي ظاهرة الفقر.وإن النهوض لهذه الأمة يرتبط بعدد من العوامل حددها كولن في تربية الأجيال تربية صحيحة وتعليمها ثقافة صحيحة ورفعها إلى مستوى الإنسانية الحق.

على ضوء ما سبق يمكننا أن نقول: لقد وضع الأستاذ كولن تصوراً للمجتمع المثالي الذي يريده ووضع الوسائل الضرورية لتحقيقه.

تحاول هذه الورقة دراسة عوامل التغيير الاجتماعي الأساسية في مشروع كولن مسترشداً بعدد من الأسئلة هي:

- ✓ ما هي دوافع التغير الاجتماعي في فكر كولن؟
- ✓ ما هو هدف التغير الاجتماعي عند كولن؟
- ✓ ما التصور الذي وضعة كولن للمجتمع الإسلامي؟
- ✓ ما هي العوامل الرئيسية للتغيير الاجتماعي في فكر كولن؟

على ضوء هذه التساؤلات تستهدف الورقة:

الهدف العام يتمثل في:

- ✓ معرفة العوامل لمؤدية للتغير الاجتماعي عند كولن.

أما الأهداف الفرعية فهي:

- ✓ التعرف على مفهوم التغير الاجتماعي عند فتح الله كولن.
- ✓ التعرف على دوافع التغير الاجتماعي عند كولن.
- ✓ التعرف علي مفهوم الإنسان المثالي والمجتمع المثالي في مشروع كولن.

منهج الورقة:

تزاوج الورقة بين العديد من المناهج هي:

منهج الاستقراء الاستنباطي، منهج تحليل المضمون، المنهج التاريخي.

من هو محمد فتح الله كولن؟

مفكر إسلامي تركي الأصل، ولد في العام 1938م, في قرية (كوروجك) في محافظة ارض روم في شمال شرق الأناضول. درس الفقه والعقيدة واللغة العربية على يد والده وحفظ القران في عمر مبكر. نشأ فتح الله كولن في بيئة سادتها التربية الإسلامية. من أهم الشخصيات التي أثرت فيه، أساتذته وشيوخه ومعلميه في التكايا والمدارس التقليدية. وأكثر ما تأثر به كولن، بديع الزمان النورسي من خلال قراءته لرسائل النور، وتاثر بالغزالى عبر قراءة إحياء علوم الدين. وبدرجات أقل تأثر بصاحب التحرير والتنوير، "ابن عاشور" وصاحب الظلال "سيد قطب".

ما يشهد لمكانته وتاثيره حصوله على المرتبة الأولى في قائمة أهم مائة مثقف معاصر في العالم، بحسب نتائج

* أستاذ مساعد – معهد إسلام المعرفة – جامعة الجزيرة

الاستطلاع الذي أجرته في صيف 2008م مجلة السياسة الخارجية الامريكية بالتعاون مع مجلةPROSPECT)) البريطانية. ألف العديد من الكتب المنشورة من أهمها: ونحن نبني حضارتنا، الموازين أضواء قرآنية في سماء الوجدان، ترانيم روح وأشجان قلب، طرق الإرشاد في الفكر والحياة، الرد على شبهات العصر، الموشور، الحب والتسامح، وغيرها .

أسس كولن جماعة الخدمة في تركيا. وهي حركة هدفها احداث التغيير باعتمادها على الإسلام كمرجعيه لها، وأهم ما تتسم به هذه الجماعة أنها اجتماعية، قومية، منظمة لديها استعداد للانفتاح على العالم. تستمد الجماعة إطارها الشرعي من أصول الفقه المستقاة من الإسلام السني، وتتناغم مع المدنية والحياة الحديثة. وتضم الجماعة التجار والصناع وأرباب الحرف والعلماء والمفكرين. من أهم مجالات اشتغال الجماعة أن مشروعها الإصلاحي يقوم على إنشاء المدارس على أسس إسلامية ولا تتعارض مع الحداثة، إنشاء مؤسسات الحوار والمدارس وقنوات الاتصال، انشاء مؤسسات اجتماعية تعمل على محاربة الفقر ومساعدة الفقراء [1].

أولاً: دوافع التغير الاجتماعي عند كولن:

ما يجري على ساحة العالم الإسلامي من أحداث عاصفة وانفجارات متلاحقة وتوتر واضطراب وأعمال إرهابية وأزمات دولية -يكاد يضع الجميع في المأزق الخانق. إن المجتمع الإسلامي اليوم ينتج من المشكلات أكثر مما يبتكر من الحلول، وأن الواقع المجتمعي الإسلامي أصبح مصدر قلق وخوف أكثر مما هو مصدر أمان واطمئنان، وأنه بعد عهود من دعوات الإصلاح الإسلامي والتنوير يفاجئنا الوحش الحضاري بعدوانيته وبربريته. وحتى لا نهدر الفرص ونعيد إنتاج المأزق يجب الا نتخلى عن التفكير بصورة حية وخلاقة. إن أولى خطوات التفكير الخلاق تجاه التغير الاجتماعي المطلوب هي تحديد مواضع الخلل. وهذا ما قام به كولن. لقد حدد كولن مشكلات العالم الإسلامي في الآتي: مشكلات التعليم، الاختلاف والتفرق، والفقر. ومن أجل إيجاد المخارج وترتيب الحلول قام بتحليل عميق لتلك المشكلات، وقد كانت بمثابة الدافع لتغيير المجتمع.

أ- مشكلات التعليم في العالم الإسلامي:

يرى كولن إن نظام التعليم الحالي في العالم الإسلامي يرتكز على فلسفة مادية وضعية، وبعيدة كل البعد عن قيم الدين ومساراته. وأصبح العلم والدين عدوان لا يلتقيان ولا يتصالحان. يقول كولن: إن المنجزات والاكتشافات العلمية اليوم، برغم من أنها قدمت للبشرية الكثير من المساعدات الهامة، ومكنت الإنسان من الانتصار على العديد من المشكلات، إلا أنها لم تمنح الإنسان السعادة المستمرة، بل زادته بؤساً إلى بؤسه الروحي، وذلك لأنها ارتكزت على الإشباع المادي وأهملت الروح وعالم المعنى، وقد أوجد هذا الوضع التعليمي حالة من الفراغ والاكتئاب في الحياة الاجتماعية . كما قادت فلسفة التعليم هذه إلى العديد من المشاكل فهي حسب تعبيره: لن تجلب السعادة للإنسان، بل قادت إلى توهم التناقض والتصادم بين الإسلام وبعض أطروحات العلوم. كما أدت إلى اهتزاز الإرادات وفتور الهمم والتعرية الروحية.. يقول كولن : فان كنا الآن نفكر في إعادة بناء الذات من جديد، ونبحث عن أسلوبنا الذاتي الحضاري، فينبغي أن نتخلص من احتلال المفاهيم والأفكار الغربية بدواخلنا ،كفكرة الصراع بين العلم والدين والمبرمجة على تخريب جذور الروح والمعنى فينا) [2] .

لقد تسربت النظرة الوضعية للعلم، للعالم الإسلامي من الحضارة الغربية وفلسفتها التربوية التي ترى أن هناك اختلاف مطلق بين العلم والدين وبين المادة والميتافيزيقيا. والحق إن العلاقة الصراعية بين النسق العلمي والنسق الديني، مرتبطة بتاريخ المجتمع الغربي فقط وليست مطلقة. إن تاريخ الفكر الغربي قد مر بأزمة العلاقة الزراعية بين ما هو علمي وما هو ديني. تلك الأزمة التي انتهت إلى رفض وأبعاد الفكر الديني من الواقع الاجتماعي، والسياسي والاقتصادي والثقافي، والمعرفي وحصره داخل جدران المعابد والكنائس.

الشاهد هنا إن الصراع بين العلم والدين لم يكن بإطلاق، بل كان خاصاً بواقع المجتمعات الغربية أدت إلية العديد من العناصر والعوامل منها اضطهاد الكنيسة للأسلوب العلمي في التفكير، التحالف بين النظامين الإقطاعي واللاهوتي، فقد كان النظام الديني يقدم القوالب الفكرية التي يتحتم على الناس أن يصوغوا وفقها سلوكهم وأساليب تفكيرهم، وكان النظام الإقطاعي يقدم الحماية الأمنية اللازمة لتنفيذ قرارات الكنيسة ، لقد ترك ذلك أسوا الأثر في نفوس أفراد المجتمع. سجل التاريخ أبشع صور الاضطهاد الديني الذي قام به هذا التحالف ضد المفكرين الأحرار[3] . ويدلنا التاريخ على أن الاكتشافات العلمية في العلوم الفيزيقية والبيولوجية كانت تلقى في عالم أوربا الوسطى أشد المعارضة مما أثر في تقدمها لفترة من الزمن. كمثال لذلك ما تعرض له عالم الفلك الإيطالي جاليليو(1564-1642) من سجن واضطهاد من جانب محاكم التفتيش الكاثوليكية، التي كانت مهمتها اكتشاف الكفرة والزنادقة ومعاقبتهم بالسجن والإعدام حرقاً , وقد أجبرت هذه المحاكم جاليليو على إنكار ما نشره في إحدى مقالاته عام 1632م يؤيد فيه نظرية مؤسس الفلك الحديث كوبرنيكوس بأن الشمس هي المركز والأرض تدور حولها [4].

علي بولاج، الخدمة من أجل التغيير: البرامج والاليات، الدين في تركيا والتغيرات الاجتماعية وفتح الله كولن, من كتاب مستقبل الاصلاح في العالم الاسلامي، خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية، دار النيل للطباعة والنشر, القاهرة, 2011, ص284

2. فتح الله كولن: ونحن نبني حضارتنا. نرجمة عوني عمر, دار النيل للطباعة والنشر, الطبعة الثانية, 2011م.

3. محمد محمد امزيان: مناهج البحث بين الوضعية والمعيارية.المعهد العالمي للفكر الاسلامي, فرجينيا, 1981م

4. سمير نعيم, النظرية في علم الاجتماع, 1992م

إن الدين المشوه في العصور الوسطى قد أتخذ موقفا سلبياً من العالم ، فليس للإنسان إلا أن يتأمل تلك الغايات ويدرك حكمة الخلق ويفهم مغزاة فليس له الحق في تغيير شي أو التطلع إلى غايات أخرى أو السيطرة على عالمه ، ونتيجة لهذه القيم السائدة في العصور الوسطى لم يكن للاختراعات أن تنمو. وقف هذا في سبيل نمو العلم، وظل التفكير العلمي جامداً طوال الفترة التي امتد فيها نفوذ الكنيسة. وكنتيجة لذلك التفكير، استقر في ذهن الإنسان الغربي وجود علاقة عكسية بين الدين والعلم بمعنى كلما سيطر الدين تراجع العلم، وكلما تنحى الدين استرد العلم روحه. إذن النزعة المعارضة للدين لم تكن موجهة ضد الدين في حد ذاته، ولكنها كانت موجهة إلى نوع من التفكير الديني الذي فرضته الكنيسة.

تأثر واقع التعليم الإسلامي بهذه النزعة الوضعية، والتي أقصت العنصر الديني من ضمن مصادر المعرفة، وحاولت إن تعالج مشكلات الإنسان والمجتمع بمنظور دنيوي يفترض مركزية الإنسان ومطلقية العقل الإنساني وهو ما يعبر عنه بالنزعة الاكتفائية.

يقول كولن في أهمية الدين للعلم: إن مصدر قوة الإنسان والمجتمعات ليست العلم وحده، انما مصدر القوة الحقيقي هو اكتشاف حقيقة الإيمان، واستشعاره في وجدان الإنسان. ان تحفيز التفكير العلمي المنظم لدى الإنسان والتعلم والتمحيص، لا يتأتى إلا بالتدريب المستمر على مطالعة الآفاق والأنفس ككتاب مفتوح، ولن يفلح إلا بتيسير تنقل الإنسان بين عوالمه الداخلية وبين حقائق الوجود، أي الربط بين العلم والإيمان. وهنا يطرح كولن سؤالاً عن جدوى التعليم بمعزل عن الدين، حيث يقول: الكثير من طلاباً نالوا تعليماً عاليا ولكن هل صاروا أعضاءً نافعين لمجتمعهم؟ الإجابة بالنفي حيث يري أن فاعلية العلم في المجتمع تكمن في ارتباط العلم بالجذور الثقافية للمجتمع.

يقول كولن: إن المدرسة بقدر ما لا تكون متوجهة إلى الهدف تصبح ميناءً او منطلقاً للأمة بشرط إن تصهر مكتسباتها في بوتقة الثقافة الذاتية، ومن البديهي إن المدرسة لن تستطيع حل مشكلاتنا الفردية والاجتماعية، مالم تتكامل مع المجتمع وبنائه الفكري[1] . يركز كولن هنا على المحددات الاجتماعية، للعلم والمعرفة إذ يري أن النهضة العلمية والتغيير المجتمعي لن يحدث ما لم ترتبط التكنولوجيا بالحاضنة الثقافية والبناء الاجتماعي المؤسس للعبقرية.

إن الفوران العلمي التكنولوجي والنهضة العلمية لا يمكن إرجاعها إلى القابليات الراقية وعبقريات الأفراد ونبوغهم وانما مرتبطة بالبناء الاجتماعي المولد للعبقرية والوسط المناسب لتنشئة المكتشفين والبيئة العامة الحاضنة للتقابليات.ان العبقرية في أرض غير أرضها كأنها عصف مأكول، كما يحكم على البذرة بالفناء في أرض لا ترعى فيها بالهواء والماء والقوة النباتية[2] .

يمكننا أن نخرج بعدد من النقاط تستنتجها من تحليل كولن لمشكلات النظام التعليمي في العالم الإسلامي نجمعها في التالي:

- ✓ إن التنشئة الاجتماعية المؤسسة على القيم الثقافية، هي الكفيلة بإخراج العبقريات والمواهب والأفراد القادرين على تغيير مجتمعاتهم.
- ✓ إن وجود المواهب بدون تنشئة مجتمعية قادرة على توظيف هذه المواهب، والاستفادة منها أشبه بالحمار الذي يحمل الأسفار.
- ✓ نلاحظ أن كولن ربط بين المعرفة والوجود الاجتماعي واعتبر أن المعرفة الحقيقية هي انعكاس مباشر للواقع الاجتماعي، أو يجب إن تُعبر عن رؤية المجتمع ومصالحه.
- ✓ إن التخطيط للمشاريع التربوية والتعليمية في عالمنا الإسلامي يجب أن يرتكز على منظومة القيم الاجتماعية والأخلاقية والهوية الذاتية للمجتمع المسلم.
- ✓ إن أهم أركان ظاهرة التغير الاجتماعي هو الإنسان المؤهل علميا وروحياً ومعنوياً ودينياً ذلك لأن إقصاء الدين عن مركز الحركة العلمية والتربوية يحبس الروح في سجن البدن الضيق, ويلوث النفس بالرغبات الدنيوية، ويخنق نظام الروح في قبضة جهاز التنفس، والنوم، والأكل، وعبادة البدن ورفض الانعتاق. يقول كولن: (لا ينبغي على الأمة إن تغض البصر عن جذورها المعنوية في جميع فعالياتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية)[3]
- ✓ يتضح من خلال تحليل رؤية كولن لعلاقة العلم بالدين، أنه لا يوجد تعارض بين الإسلام والعلوم الحديثة. إن كل علم من العلوم الحديثة يبحث عن الله دوماً ويعرف بالخالق الكريم بلغته الخاصة.

ب- الاختلاف والتفرق

أصبحت المجتمعات الإسلامية هشة، وتعرضت لتغيرات لا تنسجم مع طبيعتها. كما أنها تعرضت لتكسرات عديدة مما أدى إلى انقسامات مجتمعية وتم نزع اللاصق المشترك بين هذه المجتمعات . كما تم استخدام القوة لفرض رؤية مغايرة. وأصبحت هناك متضادات عديدة: العلماني،الإسلامي، القومي، الفقير والغني، وضعي وإسلامي، ماركسي رأس مالي، ليبرالي. وقد تركت هذه الاختلافات انشقاقات بالمجتمع وصعبت إمكانية إقامة بنيان قوي.

مريم ايت أحمد: إستراتيجية البناء الحضاري في فكر فتح الله كولن، مجلة حراء عدد 54 مارس – أبريل 2016م, 17.

فتح الله كولن, ونحن نبني حضارتنا، مصدر سابق.

فتح الله كولن, ونحن نبني حضارتنا المصدر نفسه.

ت- الفقر:

يعرف الفقر بأنه عدم امتلاك المال والمتاع والنقود.ولم يشذ فكر كولن عن هذا الرأي، إلا أنه أشار إلى أن الفقر الأخطر يكمن في عدم امتلاك العلم والفكر والمهارة. فالأغنياء الذين لا يملكون علماً ولا فكراً ولا مهارة هم فقراء في الحقيقة. وهنا نلاحظ نوعين للفقر، هما الفقر المعنوي والفقر المادي. ويري كولن ان هذين النمطين من الفقر يشيعان حينما يتفشى الجهل وتغيب الخدمة الإيمانية. لهذا كان من أولوياته محاربة الفقر الأول والذي يعد أساس محاربة الفقر الثاني.

ثانيا: هدف التغير الاجتماعي:

إن عملية التغير الاجتماعي تستلزم بالضرورة تحديد الهدف أو الغاية ، أو ما يعرف بهدف التغير. وبالتالي قبل القيام بأي نشاط تغييري يجب تحديد الهدف والغاية لكي لا تعوق الوسائل عملية التغير. وإذا لم يحدد هدف التغيير فإن الأفكار ستتداخل ويظهر الاضطراب والفوضى، وتصبح الحركة نحو التغيير غير واضحة.

يقول فتح الله كولن: (كم من حملة نشاط واعدة فشلت في إعطاء أي نتيجة إيجابية وأي ثمرة بسبب الفوضى في تعيين الهدف والغاية) [1].

بناء عليه، فإن أصحاب المشاريع الكبيرة عليهم دائماً تذكر الهدف وراء تأسيس المشروع، حتي لا ينحرف النشاط عن الهدف، وأن يصب العمل تجاه الغاية، تصبح المهمة الأساسية لمن يرغبون بالتغيير الاجتماعي هي تبني موقف فلسفي مناهض للموقف الذي يهيمن على الواقع القائم. لقد وضع كولن هدفاً للتغيير يتمثل في: بناء الإنسان ومن ثم بناء المجتمع عبر تفعيل القيم الإسلامية في الواقع الاجتماعي وفي تطويره. أي إيجاد المجتمع المثالي والإنسان المثالي.

أ- تصور كولن لمجتمع التغيير:

لقد وضع كولن تصورا لمجتمع التغيير الذي ينشده وحدد له عدة صفات وميزات هي:.

- أن المجتمع الإسلامي بحسب كولن مجتمع منبثق عن الدين الإسلامي وعن ميثاق الإيمان بالله. واللبنة الأولى في المجتمع الإسلامي هو الاعتقاد بوجود إله (وهو الله تعالى)، فالمجتمع الإسلامي مجتمع عقائدي يدين بعقيدة سماوية هي الإسلام وهي التي يجب أن تحدد له التصور العام للكون الذي يعيش داخله ومركزه ووظيفته في هذا الكون، وأن أي فلسفة تغيير يجب أن تستند إلى الإسلام وترتكز عليه .
- مجتمع يستمد قيمه الثقافية من الإسلام المنفتح والمتفاعل ايجابياً مع حاجات الإنسان ومتطلباته، والذي يتناول الحياة كلاً متكاملاً ويفسرها ويقومها بقيمه، وهو يفسر أجزاء الحياة دوماً مرتبطاً بالواقع، ولا ينادي بأحكامه في وديان الخيال بمعزل عن الحياة.
- مجتمع يتأسس على فعل الخير والصلاح ودرء الفساد ، التوحيد والهدى والاستقامة، الحرية العدالة، المساواة، الشورى التسامح، وغيرها من مكارم الأخلاق.
- مجتمع آمر بالمعروف وناهٍ عن المنكر، ويدعو الناس إلى فعل الخير ويكون مثال الصدق والأمانة. وبهذا تقل الانحرافات الاجتماعية. و إذا تناسى المجتمع وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فاقرأ عليه السلام فقد انتهى أمره [2].
- مجتمع تبنى العمليات الاجتماعية فيه على المحبة والشفقة والكلام الطيب بدلاً عن القسوة والقتل والصراع. يقول كولن: (المنتظر منا اليوم خفض جناح الرحمة والشفقة على الجميع ومتى ما تحقق هذا فقد تحقق إذن عمل مهم تنتظره الإنسانية).
- مجتمع يشكل أفراده جسداً واحداً إذا اشتكي منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.
- مجتمع يقوم على احترام الإنسان وتوقيره وإبداء الحب لكل شيء، والتعامل بكل مرونة وتساهل مع العالم، وعدم ربط المشاعر والأفكار والسلوك بأحاسيس العداوة والبغضاء والسعي الجاد لتقوية عاطفة الأخوة والصداقةٍ ولو استطعنا تحقيق الأخوة والصداقة بين أفراد هذه الأمة لاستطعنا تجاوز الكثير من مشاكلنا والعقبات الكبيرة والضخمة التي تواجه الأمة. يقول كولن: إن احترام الإنسان وتوقيره من موجبات الإنسانية ومن ضروراتها، وحب الإنسان شرط من شروط القرب من الله تعالى ومن الخلق. والذين يستهينون بالناس بتصرفاتهم أو بأقوالهم يفشون في الحقيقة مستواهم الخلقي. بينما أصحاب الخلق الرفيع هم من المتواضعين على الدوام، يهبون نسيماً في كل مكان وهم يعدون أن احترام الإنسان ومحبته من أفضل الأشياء وأثمنها. وأمثال هؤلاء ينذرون حياتهم من أجل حياة الآخرين ومن اجل سعادتهم بكل همة وعزم.
- مجتمع يتأسس على قيمة الأخوة. فالمسلم يسعى إلى قضاء حوائج إخوانه المسلمين. قال رسول الله ﷺ: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة، فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة) [3] مجتمع يسعى أفراده إلى الصلح والتناصح وإرشاد بعضهم بعضاً بما يتفق مع الشريعة الإسلامية.

---

[1] . كولن, الموازين, اضواء عاى الطريق,ترجمة اورخان محمد علي, دار النيل للطباعة والنشر, القاهرة, الطبعة الثالثة, 2006م

[2]. كولن: طرق الإرشاد في الفكر والحياة، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

[3]. اخرجه البخاري في صحيحة, باب لا يظلم المسلم المسلم, الجزء 3, ص 138

ب- تصور كولن لإنسان التغيير:

تصور كولن الإنسان الجديد والذي يأمل أن يخرج من مشروعه الإصلاحي كالآتي:

- إنسان يتماشى مع التطور المتسارع للعصر، للدخول بقوة في مجتمع المعرفة والمعلومات والمشاركة الفعلية فيه للحاق بركب المنجزات العلمية والتقنية الحديثة.
- إنسان مالك لفنون العصر، وقارئ للقرآن، وقارئ للكون.
- إنسان يفكر ويعتمد على التجربة قدر اعتماده على العقل.
- إنسان ايجابي في التعامل مع العصر، ممتلئ بالفكر ومحب للبحث.
- إنسان يحاول الوصول إلى الأفضل بالروح والبدن، ويوازن بين الدين والدنيا، يجمع بين العقل والقلب.
- إنسان يسعي دائماً لإسعاد الآخرين.
- إنسان ينشي ذاته على أساس الأخلاق الفاضلة التي تجعل من الإنسان شخصاً مثالياً.
- هو بطل البصيرة وفارس الإدراك الذي تصدق عليه حقيقة أنه خلق في أحسن تقويم.
- إنسان متمكن وبارع في تنمية مواهبه وقدراته, يسال باستمرار , ويواصل التنقيب عن الحقيقة ، فتراه متوقد الذهن متوثب البحث عن أجوبة للأسئلة الكونية الكبرى، والواعي باستمرار بهويته الثقافية وذاتيته المجتمعية [1].

هذا هو الإنسان الذي يدعو إليه كولن، الإنسان الذي يتمركز في قلب عملية التغيير ويعتبر رأس الرمح في مشروع كولن الإصلاحي. وهو الذي وصفه بالإنسان الجديد أو الإنسان الذهبي، الذي يتربى بهويته الذاتية ومقوماته التاريخية. فهو طبيب الروح والمعنى الذي يصل إلى جميع وحدات المجتمع ويمتد تأثيره إلى جميع خلايا جسم الأمة. انه من قادة الروح ومهندسي العقل والفكر الذي يعيد تجديد هذه الأمة.

ثالثاً: عوامل التغير الاجتماعي عند كولن:

إن المجتمعات الإنسانية في تعرضها لعمليات التغير الاجتماعي، لا تسير على مسار تغيري واحد، وإنما تسلك العديد من المسارات التغيرية بحسب ظروف كل مجتمع ونظامه الاجتماعي والثقافي. ولهذا تتعدد العوامل المسئولة عن التغير بتعدد المكونات الثقافية للمجتمعات البشرية. هناك مجتمعات تعلي من قيمة المتغير الاقتصادي، وأخرى تركز على البعد الثقافي، وثالثة تضع اعتباراً للبعد الإنساني. وبرغم صعوبات دراسة التغير الاجتماعي يعتبر من أهم قضايا علم الاجتماع الحديث، لارتباطه بعناصر الحياة الاجتماعية وسننها وجوانبها المادية والمعنوية.

يعرف التغير الاجتماعي بأنه تعديلات تحدث في المعاني والقيم التي تنتشر في المجتمع أو بعض أنساقه الفرعية، أو هو الاختلافات التي تطرأ على ظاهرة اجتماعية بعينها خلال فترة زمنية معينة، والتي يمكن ملاحظتها وتقديرها. أو هو التحول القابل للملاحظة الذي يحدث في كل بناء اجتماعي أو نظم اجتماعية.

أو هو تغيير يطرأ على النظم والعلاقات الاجتماعية والقيم والمعايير والأخلاق والعادات التي يتكون منها البناء الاجتماعي، نتيجة عوامل تكنولوجية واقتصادية وسياسية، والتي من شانها أن تؤثر في الفعل والتفاعل الاجتماعي.

يعرف كولن التغير الاجتماعي بأنه (هو عملية إصلاح المجتمع ، ونقله من حالة الجهل إلى مجتمع المعرفة والعلم، ومن حالة التفرق والشتات إلى حالة الوحدة والانسجام، وإصلاح أحواله الاقتصادية بالقضاء على ظاهرة الفقر).

لقد حدد كولن عوامل التغير في الآتي: الإنسان، الدين، التعليم، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحاربة الفقر.

أ- الإنسان محور التغير الاجتماعي في فلسفة كولن:

تدور الفكرة الرئيسية هنا وبحسب كولن حول فاعلية الإنسان في أحداث التغيير الاجتماعي. ومن ثم يضحي الإنسان وبفعل قواه الإيجابية من أهم عوامل التغير الاجتماعي. وهنا يتداعى إلى الخاطر قول ابن خلدون "أعلم أن الله اعتمر هذا العالم بخلقه ، وكرم بني آدم باستخلافهم في أرضه، وبثهم في نواحيها لتمام حكمته. فالإنسان بامتلاكه عنصري المعرفة الصحيحة والقوة العقلية، يمكنه تغيير المجتمع للأحسن وحل مشكلاته. فلابد لكل مجتمع من مهندسين للفكر والرأي (حسب تعبير كولن) يوظفون قدراتهم وجدارتهم في عملية بناء وتغيير المجتمع.

بهذا يمكن إرجاع التغير الاجتماعي إلى النمو الفكري للإنسان، وكل تغيير اجتماعي هو في بعض جوانبه انعكاس لتطور مماثل في الحياة العقلية وأساليب التفكير لدى الإنسان. إضافة للنمو الفكري للإنسان، يتطلب التغيير الاجتماعي الإرادة والفاعلية الإنسانية. وهذا ما أكده كولن حيث ذكر أن البدء في التغيير لابد أن يكون من الإنسان وبالإنسان، فمنه تفتح جميع مغالق التغيير المخطط.

إذن العامل الفاعل في التغير ووسيلته ومحوره هو الإنسان وقدراته الإبداعية.فالإنسان هو الشرط الأساسي لإصلاح وتطوير الاجتماع البشري. وبما أن الإنسان هو الأساس والهدف والغاية في مشروع فتح الله كولن، كان لابد من إصلاحه وتوفير الكرامة له حتى يبذل كل طاقاته لينهض بمجتمعه ووطنه وأمته.

---

[1]. سمير بودينار, فلسفة التعليم عند كولن: السباحة في المجال الحيوي, من كتاب:مستقبل الاصلاح في العالم الاسلامي, دارالنيل للطباعة والنشر, القاهرة , الطبعة الاولى, 2009م, ص331

فإذا أردنا إصلاح مجتمعنا وبناء اجتماع إنساني قوي، علينا أن نحل المشكلة في الإنسان، علينا أن نحل الانشطار الذي حدث في ذات الإنسان. وكما قال نوزاد واصفاً حالة الفصام الذي حدث للإنسان: العقل ذهب في اتجاه، القلب ذهب في اتجاه، والسلوكيات ذهبت في اتجاه آخر. فمالم نوحد ذات الإنسان ونحصل على الإنسان المتكامل، لا يمكن أن نؤسس مجتمعاً متكاملاً.

يؤكد كولن إن التغير الاجتماعي للمجتمع يبدأ بتغيير ثقافته، وتغيير ثقافة المجتمع يكون بإعداد الإنسان بصورة تتفق مع ماهيته الفطرية التي خلق عليها. ومن ثم فإن التغيير التصوري والفكري والأخلاقي للإنسان، يعتبر المدخل الرئيسي في رأي كولن لإحداث التغيير الاجتماعي. عليه لابد أن يصاغ الفرد المسلم أولاً قبل وجود المجتمع أو عالم الأشياء.

تأسيساً على رؤية كولن السابقة يمكن القول: إن مولد الحضارة يبدأ بمولد الإنسان ورده لفطرته السليمة. وأن التغير الاجتماعي يبدأ بتغيير الذات الإنسانية بالدرجة الأولى ، ويتضمن ذلك تغيير نظام الاعتقاد والفكر والعمل والأخلاق.

ب- الدين والتغير الاجتماعي

يمثل الدين عند كولن مجموعة المبادئ الإلهية التي تسوق الناس بإرادتهم الحرة إلى وجوه الخير. ومن الممكن توظيف الدين لخدمة العديد من الوظائف التي تمثل قاعدة للتغير الاجتماعي. ويمكن للأديان إن تلعب دوراً مركزياً في بناء الإنسان وتغير عوالمه وبناء الاجتماع الإنساني، وذلك لما لها من جوانب فكرية عن طريقها يوجه الإنسان نشاطه وسلوكه. وتعد الجوانب الدينية لأي أمة، المحرك لعمليات التغيير الاجتماعي والمسئول عن رسم المشروعات اللازمة لبناء مستقبلها باعتبار أن القيم الدينية هي المحرك الأول للحياة الاجتماعية ، وأن التغيير الاجتماعي يعتمد على الأفكار أكثر مما يعتمد على الأفعال والجوانب المادية ، فالفكر التحليلي أو التركيبي أو التأليفي تتحدد بمقتضاه الخاصية الفلسفية للمجتمع [1]. يقول كولن مؤكدا ما سبق (يساعد الدين على رقي الإنسان مادياً ومعنوياً، يساهم في نهضة الأمه ولكنه مشروطا بتربية أبنائها دينيا، فالإعداد الجيد للإنسان هو طريق بناء الأمة وتقدمها. أما الأمم التي تهمل بناء إنسانها فلا تستطيع أن تخطو خطوة واحدة إلى الأمام)[2] .

إن الإنسان كما هو معروف له جوانب مادية وله جوانب معنوية، وإشباع أي جانب على حساب الجوانب الأخرى يخلق نوعاً من القلق الوجودي والاضطراب النفسي. وهنا يأتي دور الدين الإسلامي، إذ أنه يعترف بالحاجات المادية ويعمل على إشباعها وتنميتها، وفي نفس الوقت يضع الاعتبار للجوانب المعنوية ، وبهذا يتطور الإنسان ومن ثم يكون المجتمع في توازن مادي وروحي. بهذه الصفة يسهم الدين في النهضة والتغيير الاجتماعي القائم على التوافق والانسجام بين المادي والمعنوي. وبالمقابل فإن حالة التراجع والانكسار الاجتماعي, مرهونة بإهمال التربية الدينية. يقول كول((إن أهم وسيلة لإعداد إنسان التغيير والنهضة هي التنشئة الدينية ، والتي بها نصل إلى الطمأنينة الحقيقية وإلى السعادة و الأخلاق الرفيعة والفضيلة) [3].

يسهم الدين في التغير الاجتماعي من خلال التأثير على سلوك الفرد، وإكسابه الأخلاق والقيم الفاضلة. ويتم ذلك عبر التنشئة الدينية التي يتعرض لها الفرد عبر مؤسسات التنشئة والتكوين الاجتماعي. يذكرنا كولن بهذه المهمة التي يضطلع بها الدين حينما يقول: (لا يمكن الحديث عن الأخلاق الرفيعة وعن الفضيلة في غياب الدين). وكما هو معروف، فإن للأخلاق الدينية دوراً محورياً في إحداث التغير الاجتماعي. ويمكن البرهنة على هذا بالاستناد على دراسات ماكس فيبر حول ديانات الهند والصين والشرق الأدنى. في هذه الدراسات يبين فيبر تأثير القيم الدينية على الجانب الاقتصادي. وقد برهن بشكل أكثر تفصيلاً أهمية القيم الدينية في التغير الاجتماعي، في كتابه "البروتستانتية وروح الرأسمالية). وخلص إلى أن هناك جوانب معينة من التعاليم الدينية قد تركت آثارها على نشأة الرأسمالية الغربية. كل هذا يشير إلى أن الأفكار والقيم الدينية لها الأهمية الكبرى في تشكيل المجتمع وتوجيه التغير الاجتماعي. فقد يكون الدين حافزاً على الابتكار في الحياة الاجتماعية وحاشداً للطاقات الرامية إلى التغير الاجتماعي [4] .

إن العامل العقائدي له دور حاسم في تكوين المجتمعات وسيرها وضبط حركتها، كما أنه يمثل التحدي الذي يدفع الإنسان إلى الحركة والبناء ، ويشكل الحافز الذي يدفع الإنسان إلى تحقيق مهمته وأداء الأمانة وعمارة الأرض. و يمكن للدين رسم الوجهة الضرورية للمجتمعات والتي توصلنا إلى قيمة السعادة، وهذا بدوره يطيل عمر المجتمعات. يؤكد القرآن أن كثيراً من الأمم والشعوب كانت لها القوة والمنعة وكانت مركز الثقل، ومع ذلك انهارت وذلك بفعل ابتعادها عن القيم الدينية، قال تعالى: (أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ) الروم: 19.

---

[1]. فادية عمر الجولاني ، التغيير الاجتماعي : مدخل النظرية الوظيفية لتحليل التغيير ، دار الإصلاح للنشر ، المملكة العربية السعودية ، الدمام ، 1984م ، ص 88.

[2]. فتح الله كولن: الموازين: أضواء على الطريق، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة،2006م.

[3]. كولن, الموازين, المصدر نفسه

[4]. انتوني غدنز، علم الاجتماع. ترجمة فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة بيروت، الطبعة الأولى ، 2005م

القيم الدينية قيم إنسانية تهدف إلى السمو بمكانة الناس أفراداً وجماعات، فهي حصن أخلاقي ومصدر للأمن والسلم الاجتماعيين ومكون حضاري راق للإنسانية جمعاء. وهو نبع مبارك لأسس المدنية الحق. وهو الذي يسمو بقلب الإنسان وبأحاسيسه، وبه يستطيع تجاوز عالمه المادي ويصل إلى عوالم أخرى، الخير والفضيلة.

وهذه حقيقة يجب أن لا تغيب عنا وهي أن للقرآن دور عظيم في إصلاح المجتمع والفرد ؛ وذلك من خلال تشكيله للأطر التربوية للمجتمع المسلم.يذكر كولن هذه الحقيقة بقوله: إن القرآن قد أنشأ جيلاً من الصحابة آنذاك لا نبالغ إن قلنا إنهم كانوا في مستوى الملائكة، فهو يقوم بتنوير قلوب المتوجهين إليه الناهلين من نبعه، ويهمس في أرواحهم أسرار الوجود[1]

إن النموذج المجتمعي الأفضل الذي أخرجه القرآن، هو مجتمع الصحابة الذين تربوا في ظلال القرآن، وصاروا منارات فريدة في تاريخ البشرية. وقد تمكن الصحابة بفضل التربية الدينية التي تلقوها، إن يؤثروا في مجري التاريخ البشري، وأن يحدثوا تغييراً كبيراً في المجتمع الإنساني. فهؤلاء عُجنوا بروح القرآن، وتشكلت أنفسهم حسب مبادئه السماوية، أي أصبحوا ترجماناً للقرآن، واستطاعوا تحقيق المستحيلات وفتحوا به طرق الخلود أمام الأرواح الميتة، وغيروا وجه الدنيا) [2].

بناءا عليه، إن المجتمع لا يمكنه إن يتغير وينهض من خلال مقومات مادية فقط بل لا بد له إذا أراد أن يتغير من الاهتمام بالعامل الديني وتطوير جانب الروح. فهناك ارتباط وثيق بين النهضة وإحياء الجانب الروحي. يرى كولن: إن تغيير الأمة يعتمد على العودة إلي الجذور الدينية والقيم الدينية التي عن طريقها تتم عملية التنشئة الاجتماعية. وأن نهضة الأمة الإسلامية متصلة بالجانب الروحي ، وذلك لأن التغير في جوهره نزعة اجتماعيه يستهدف تحقيق مزيد من الترابط الاجتماعي، ولذلك فإن القوه الوحيدة المؤثرة في التغيير هي الدين الذي يوحد بين الأجيال ويحقق التكامل وينقذ الحضارات من الأخطار الكبرى.

إن خلاصة القول، إن دروس التربية الدينية، مهمة لتغيير المجتمع، لأن بها يمكن إصلاح حال الاجتماع الإنساني. وإذا استطعنا أن نربي أبناءنا دينياً ، نكون قد تقدمنا خطوات نحو المجتمع الذي نريد.

ت- العلم والتغيير الاجتماعي.

إن الحاجة إلى العلم ضرورة من ضرورات بقاء الاجتماع ، والنماء الإنساني في أي مجتمع من المجتمعات وفي أي زمان ومكان. وقد نصت المواثيق الدولية وقبلها الديانات السماوية على حق الإنسان في التزود بقسط معلوم من التعليم المنظم. وذلك لما يقوم به العلم من وظائف لها أهميتها في بناء الحضارات وعمارة الكون:كالتحكم في الظواهر الطبيعية والاجتماعية وتوجيهها لخدمة الإنسان، وتحويل الفرد من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي، وتحديد نوعية العمل والمكانة الاجتماعية والسلطة والتباين الاجتماعي في المجتمع. ولهذا يعتبر التعليم من أهم عوامل التغير الاجتماعي- والذي يجب أن يعطى الأولوية في أي مشروع إصلاحي, بحيث يكون نقطة الانطلاق للتطوير والتغيير الشامل- إذ يجعل الشخص أكثر قدرة على التعاطي مع مشكلات المجتمع وأكثر فاعلية في المشاركة في عمليات التنمية الاجتماعية. ومادام هدف التغيير هو بناء الإنسان وبناء المجتمع، فلا يتم ذلك الا بالتعليم.يقول كولن: (العلوم مفيدة لنا بدرجة قيامها بتأمين سعادتنا والارتفاع بنا إلى المستوى الإنساني اللائق) [3].

أول ما نزل من القران هو الأمر بالقراءة لأهميتها في إسعاد الإنسان، ورفع مكانته الاجتماعية، عبر أحداث التغيير في سلوكه وتأثيره الإيجابي على الآخرين، وتغيير حياتهم للأفضل. كما أن الغاية من خلق الإنسان هو تحصيل العلم وإيصال ما تعلمه إلى الآخرين, بغرض التأثير الإيجابي في سلوكهم وتغيير حياتهم للأفضل. (والذي لا يحاول التعلم - مع كل جهله- ولا يفكر بذلك ولا يجدد نفسه بما تعلمه ولا يكون قدوة لغيره هو إنسان بالصورة فقط وليس بالسريرة .

يعمل التعليم على إحداث التغيير - عبر التأثير على اتخاذ القرارات الصحيحة وتجنب القرارات الخاطئة والمنطق الخادع، وعبر ارتباطه بكسب الفضائل - ذلك لما يحدثه من استنارة للعقل والمنطق. لذا فمتى ما خلا موضع من العلم والمعرفة ترى العقل عاطلاً والمنطق خادعاً والقرارات خاطئة. وإن الغاية من تعلم العلم هو اتخاذ المعرفة مرشداً وهادياً للإنسان ولتنوير الطرق التي ترقى بالإنسان نحو الكماليات الإنسانية.

وتقع مسئولية جعل التعليم أداة أو ركيزة للتغير الاجتماعي، على الأسرة أولاً ثم المؤسسات الاجتماعية لاحقاً. وإذا تقاعست الأسر عن القيام بهذا الدور التربوي سوف تظهر مؤسسات أخري لملء الفراغ وتعليم الأبناء ما لا ينفع. يقول كولن: إن الأرواح الخالية من المعرفة بمثابة مزارع صالحة لإنبات كل الأفكار الضارة ولنمائها. ويكون الحصاد من نوع البذور التي بُذرت فيها.

تأسيساً عليه يجب استخدام العلم في تغيير المجتمع نحو الأفضل والإيجابي، ولإضاءة المناطق المظلمة وإحداث الاستنارة المطلوبة.

---

1. فتح الله كولن: ترانيم روح وأشجان قلب. دار النيل للطباعة والنشر, القاهرة, 2006م
2. فتح الله كولن, الموازين, مرجع سابق.
3. فتح الله كولن: الموازين, مصدر سابق

العلم الإسلامي: النشأة والتحديات:

كانت نشاة العلم الإسلامي مرتبطة بالدين الإسلامي وبساطته واعتداله، وبلغته العربية كلغة معرفة ومنطق. ولم يعد ثمة مبرر للتفرقة بين العلم والدين، بل قام العلم الإسلامي على مصدرية الوحي والعقل والتجربة والنظر في الكون، والأنفس والآفاق، والطبيعة والتاريخ. وتجلى هذا التكامل بين العلم والدين في كل ميادين الفكر وخاصة في أعمال كل من أبوبكر الرازي، ابن حزم، ابن تيمية، جابر بن حيان الحسن بن الهيثم وابن خلدون وغيرهم.

كانت العلاقة بين العلم والدين في توافق وانسجام، إذ لم يحس المفكر المسلم ان العلم ينتمي لدائرة والدين ينتمي لآخري، فالعلم كان أساس التقدم المدني والدين أساس التقدم المعنوي. إلا أن هذه القاعدة أو العلاقة التكاملية بين العلم والدين قد اختلت وأصبح الدين ينتمي لدائرة والعلم لأخرى. وبحسب تعبير بديع الزمان فإنه نتيجة لهذه الحالة نشأت حالات التعطل وفقدان الشوق وضعف الملكة لدي الطلاب والعلماء. كما تباينت الأفكار وتحالفت المشارب بين العلوم الدينية والعلوم الحديثة. لقد وجه محمد فتح الله كولن انتقادات عديدة للنظام التعليمي في العالم الإسلامي. اذ يرى أن النظام يواجه جملة من التحديات :

- أنه مزق الترابط بين تكاملية العقل والقلب.
- قطع الرابطة بين جميع العلاقات الإنسانية والاجتماعية والفكرية وبين المقدسات بطريقة وضعية.

O كيف يصبح العلم أداة تغيير لمجتمعاتنا الإسلامية:

يعتبر كولن أن شخصية الإنسان تتكون من عناصر جسمانية وذهنية وروحية. ويجب أن تتحقق كافة الإمكانات الإنسانية بشكل منظم إذ لا مجال للفصل بين ما هو مادي وبين ما هو روحي، وتبعاً لذلك لا يجوز الفصل بين العلم والدين. ولذلك ارتكزت فلسفة التغيير عنده على تجسير الفجوة بين ثنائية العلمي والديني. وقام بإنتاج خطاب تصالحي توافقي يتجاوز الاستقطاب والصراعات في نظرة تكاملية بين الدين والعلم . يرى كولن ضرورة الاستفادة من العلوم الوضعية وجعلها في خدمة الدين، لأن كل منهما يحتاج للاخر. ("العلم دون دين أعمى، والدين دون علم أعرج" [1].

يرد كولن على بعض الأصوات المنادية بالابتعاد عن العلوم الوضعية بدعوى أنها تقود للإلحاد بقوله: الابتعاد عن العلوم الوضعية بحجة أنها تؤدي إلى الإلحاد تصرف صبياني. أما النظر إليها وكأنها تعادي الدين وأنها وسيلة للإلحاد وطريق إليه فهو حكم مسبق وجهل مطبق) .[2]

ونظرا لأهمية التعليم فقد أعطاه كولن أهمية قصوى في مشروع التغيير، وحتي يصير التعليم أداة فاعلة في التغير الاجتماعي يجب إن يقوم على الفلسفة التالية:

- المزاوجة بين تكوين العقل وتربية القلب.
- يجب أن يغذي التعليم الفكر ممزوجاً بتربية تقوم السلوك تكون الكلمة فيه للنموذج الصالح (التربية بالقدوة ولسان الحال).
- التكامل بين العلوم الكونية والعلوم الشرعية.
- الاستفادة من المنجز الإنساني العلمي والتقني في أقصى مستوياته، وجعل العلم والتكنولوجيا في خدمة الإنسان، إذ ليس هناك من مبرر جدي للخوف منهما، لأن الخطر لا يكمن في العلم ولا في تنظيم الدنيا حسب مقتضى العلم، بل يكمن الخطر في الجهل وعدم الإحساس والتهرب من تحمل المسؤولية.
- إن المدرسة كمؤسسة تربوية يجب أن تقوم رؤيتها المعرفية على المفهوم الشامل للتربية، والذي يتكامل بين القلب والعقل. إن مفهوم التربية الشمولي يمثل حجر الأساس لتنشئة الجيل الذهبي. يقول كولن (إذا استطعنا أن نزود عقول الأجيال بعلوم الفترة التي يعيشون، وأن نزود أفئدتهم بالنسائم التي تهب من هنا وهناك، وأن نجعلهم ينظرون إلى المستقبل بالمنظور التاريخي الذي سنجعله نبراساً في أرواحهم، فاعلموا إن أقل جهد نبذله في هذا الغرض لن يذهب سدى). [3]

ث- محاربة الفقر:

تمثل محاربة الفقر أساس الخدمة الإيمانية، وذلك لأنه مفتاح جميع الشرور. ولذلك فقد وضع كولن عدة مسالك لمحاربة الفقر المعنوي ومن ثم المادي، تتمثل في الآتي:

- ✓ إشاعة مبدأ الافتقار إلى الله الرزاق ذو القوة المتين، فإليه الفضل كله، وعليه يعتمد النجاح في الدنيا والفلاح في الآخرة.
- ✓ يجب أن لا ندخل الدنيا في قلوبنا وإلا تكسرنا.
- ✓ نشر العلم ومحاربة الجهل.
- ✓ التأسيس لمعيار الرقي العاطفي والفكري.
- ✓ محاربة التصرفات السيئة (الثرثرة، قلة العمل، الكسل، الاستسلام).
- ✓ تشجيع إنشاء المؤسسات في مجمل حقول الفعل الإنساني (الصناعة، التجارة، التعليم، الطب...).
- ✓ هناك عدة مؤسسات تطبيقية لمحاربة الفقر منها: مؤسسات الخدمة في الواقع العملي (تعليمية، بحثية، صناعية، تجارية، طبية، إعلامية، إغاثية، مؤسسة هل من احد..الخ).

1 . فتح الله كولن: الموازين, مصدر سابق

2. فتح الله كولن: الموازين, المصدر نفسه

3 . رجب قايماقجان, مفهوم التربية الشمولية لكولن وانعكاساته على المدارس, من كتاب مستقبل الاصلاح في العالم الاسلامي: خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية, 2009م, ص350.

ج- دور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في التغير الاجتماعي:

يتصف الإنسان بأنه كائن ضعيف ومتسامي في الوقت نفسه. فهو يتردى في أسفل سافلين ويرتفع في منزلته على الملائكة. وأي فكر إصلاحي يجب أخذ هذه الصفات في الاعتبار. أن ينظر لجوانب الضعف وبتعهدها بوسائل التقوية، كالزجر والترهيب، وينظر لجوانب القوة والفضيلة بالتشجيع والدعم. بمعنى آخر العمل بقاعدة الأمر بالمعروف أي تشجيع ودعم المزايا الفاضلة، والنهي عن المنكر. أي حتى تستمر الحياة، يجب علينا تقوية الحياة المعنوية، وبنفس القدر علينا الأخذ ببعض الأحكام الجزائية ، لإدامة استقامة الإنسان وصيانته من الزلل. والغاية من كل ذلك تغيير واقع الناس من خلال التخلق بأسمى الأخلاق التي تخلق بها سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم . وبما أن الإنسان له قابلية الترقي إلى اعلى او التردي إلى أسفل- فقد حث الإسلام على الأمر بالمعروف ، النهي عن المنكر. يقول كولن: الطريق الأسلم الدائم للوقاية من البعوض هو تجفيف المستنقعات. في إشارة إلى منهج النهي عن المنكر. كما شجع الإسلام على الترغيب في الفضائل والأخلاق الحميدة. يطلق على هذه المنهجية الترهيب والترغيب ، كما يطلق عليها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والأمر بالمعروف: هو الإرشاد إلى ما يوافق الكتاب والسنة. والنهي عن المنكر: نهي عما تميل إليه النفس والشهوة. وهما من أصول الإسلام، ولا شك أن تغيير أحوال الناس إيجاباً في معاشهم ومعادهم متوقف على العمل بقاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وعلاقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بموضوع التغير الاجتماعي يتبين في النقاط الآتية:

- ضرب من ضروب الدعوة إلى الله وطريق إلى إصلاح المجتمع (تغيير).
- شرع نظام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لحماية المجتمع والعقيدة والفكر من التحريف والتزييف.
- لها أهمية في تربية الفرد والمجتمع المسلم ليكون المجتمع إيجابياً تجاه ما يراه من خلل فيسعى إلى إصلاحه [1] ولا سيما في عصر طغيان النظريات الإلحادية والمنادية بالقطيعة مع الأديان، باعتبارها عودة إلى عصر الخرافة واللّا علمية والجهل والتعصب.
- إقامة الملة والشريعة وحفظ العقيدة والدين .
- نشر المعروف بين الناس وتقوية جوانب الفضيلة، وإشاعة الأخلاق الحسنة في العلاقات الاجتماعية لتقوم على قواعد وأسس الشريعة حيث الصدق والوفاء، والتراحم والتناصح وأداء الأمانة، والرفق والإحسان. الدعوة هنا موصولة لمجتمع المسلمين ليعتصموا بالله فتخرج منهم جماعة تدعوا إلى الخير منصرفة عن الشر، وتأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر من مستقبح الفعال والصراعات الداخلية، ولا تبدد طاقاتها بالخلاف والفراق[2] .
- إزالة عوامل الفساد والشر من واقع المجتمعات، والقضاء على الرذائل أولاً بأول.
- تكوين الوعي الاجتماعي الذي يحرس آداب الأمة وفضائلها وأخلاقها.
- بعث الإحساس بمعني التكامل والتعاون على البر والتقوى، الأمر الذي يقوي التضامن الاجتماعي والضمير الجمعي [3].
- علة خيرية هذه الأمة هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وستفقد خيريتها عندما لا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.
- إن "الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر" طريق يؤدى إلى الغاية من خلق الوجود. فقد فتح الله سبحانه وتعالى قصر الكون لأجل هذه المهمة السامية والوظيفة الجليلة، وبوأ الإنسان منـزلة الخلافة في ذلك القصر المنيف لأجلها[4] .
- بمجرد أن تدعه الأمة يحل عليها سخط الله عز وجل.
- لا تستجب الدعوة إلا إذا أمرت الأمة بالمعروف.
- به حفظ الضرورات الخمس (الدين، العقل، النفس، النسل، المال).
- تركه سبب في ظهور الفساد في البر والبحر، الجهل واندثار العلم وتخبط الأمة [5].

ولأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في إصلاح المجتمع وتغييره، فقد اهتم به كولن وجعله احد عوامل التغير الاجتماعي. وقد وصف كولن الذين يقومون بالأمر بالمعروف وينهون عن المنكر بالنجوم القطبية في المجتمع لتهتدي بهم سفينة المجتمع التي تمخر عباب بحر الحياة الاجتماعية إلى سواء السبيل، فتُنظم القيادات وتوزع المسؤوليات وفقهم. وبهذا تُقلل الانحرافات والتخلفات إلى أصغر حد ممكن.

---

[1]. محمد موسى البر، ومحمد نور موسى: نظام الحسبة في الإسلام: دراسة في إصلاح المجتمع, الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، 2014م، ص 222

[2] .حسن الترابي: التفسير التوحيدي، الجزء الأول، دار الساقي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2004م، ص 280.

[3]. حصة منصور: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، دراسة موضوعية WWW.VB. TAFSIR .NET,(ACCESED ON (10.6.2016

[4] . فتح الله كولن: طريق الارشاد والتبليغ, مصدر سابق

[5]. عبد الملك القاسم: الركن السادس من أركان الإسلام...الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر WWW. AR.ISLAMWAY.NET

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران:104).
بمعنى لتكن منكم جماعة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر دائماً؛ فيدعون الناس إلى الخير ويجنّبونهم الشر، ويبينون لهم الحسنات ويكونون مثال الصدق والاستقامة، حتى أنهم يتجنبون السيئات.
تشكل وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ركيزة أساسية في التغير الاجتماعي عند فتح الله كولن. وهذه القاعدة تعنى بنشر الخير في المجتمع، وحث الناس على فعله، والتصدي للشرور، والعمل على إبعاد الناس عنها)، ويعتبر الأمر والنهي جانب وبعد من أبعاد التبليغ، والذي يعتبره كولن غاية وجودنا [1].
أن هذه القاعدة يمكنها إن تعالج الكثير من أمراضنا الاجتماعية التي تكاد تقوض بنيان المجتمع رويداً رويداً، كالزنا والمخدرات، والربا والاحتكار. ومعروف خطر هذه الأمراض وكيف أنها يمكن إن تؤثر سلباً على حياتنا الاجتماعية وتزلزل المجتمع[2].
الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر هم المنوط بهم إرشاد وتنوير الناس، ومد أيديهم لإنقاذهم من ورطات الحياة الكثيرة، وعبر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يمكن أن تغير مجتمعاتنا. مثلاً بالموعظة الحسنة والكلمة الطيبة والقول اللين ومنهج التبليغ المستفاد من القرآن الكريم، يمكننا أن نبين أن الربا جرثومة تقرض حياتنا الاجتماعية، وأن الزنا سرطان، فيثير اشمئزاز الناس منه ويبغضهم فيه ويخوفهم منه، ويصرفهم عنه.
مجمل القول لو ان المجتمع لديه الوعي الكافي بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، سوف يدفع كل المفاسد ويقضي عليها، وسيتغير المجتمع للأفضل، اذ إن هذه القاعدة تعمل كتدبير وقائي ومانعة صواعق لنجاة المجتمع .
وحتى يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عاملاً لإصلاح وتغيير المجتمع ينبغي توفر عددا من الشروط، حصرها كولن في الأتي:

- ينبغي على العاملين في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يصلحوا أنفسهم أولاً قبل إصلاح أو تغيير المجتمع. عليهم إن يطهروا أنفسهم وقلوبهم من الغل والحقد والحسد إلى جانب استقامتهم في السلوك وفي التصرف وبعدهم عما لا يليق بهم، وبهذا سيكونون قدوة لمن حولهم.
- يجب أن تكون قلوبهم مليئة بالإيمان والمحبة للإنسان، (افتح صدرك للجميع ليكن كالبحر, افتحه أكثر مما تستطيع, وامتلئ أنت بالإيمان وبمحبة الإنسان، فلا تبق خارج اهتمامك أي قلب حزين إلا وقد مددت إليه يدك.....)[3] .
- على الإنسان أن يجعل من نفسه ميزاناً يزن به كل شيء في سلوكه تجاه الآخرين. فما يريده لنفسه عليه أن يريده للآخرين. وعليه ألاّ ينسى أنه عندما يكره تصرفاً معيناً تجاهه فإن الآخرين أيضاً يكرهونه، فيتخلص بذلك من جميع التصرفات الخاطئة من جهة، ويسلم من إيذاء الآخرين وجرح قلوبهم.
- الإحسان أفضل طريق للوصول إلى قلوب من ترجو منهم خيراً أو تخشى من جانبهم شراً.
- من أفضل أنواع المعروف التي يمكن للإنسان عملها تجاه الآخرين هو التعامي عن رؤية التصرفات غير اللائقة الصادرة منهم وتجاهلها وتناسي تقصيراتهم.

لقد طرح كولن قاعدة الأمر بالمعروف كمنهج للحوار وكآلية لإصلاح أوضاع المجتمع المأزومة. فقد شجع على عدة أعمال خيرية من شأنها مد الجسور بين شرائح المجتمع المتباينة. مثل المدارس وبيوت الطلبة وصالات المطالعة والمراكز الثقافية، دور النشر الثقافية. إضافة إلى الأعمال السابقة، فقد أطلق دعوة سماها (تعالوا)، إذ جمع فيها عدداً كبيراً من التيارات الفكرية المتباينة في الطرح، والتي بينها حواجز وانقسامات وجدران نفسية، أهمها التيار الإسلامي والشيوعي والليبرالي. طرح عليهم الأستاذ فكرة ان نتفق في الحد الأدنى من القواسم المشتركة، تعالوا نضع قائمة للقواسم ، مثل: الوطن واحد، الأرض واحدة القدر واحد, كلنا يريد الخير لهذا البلد وغيرها من القواسم المشتركة. وان ننطلق من هذه القواسم المشتركة من أجل البلد. وفي إطار البحث عن المشترك فقد نظم الأستاذ زيارات ودية إلى رؤوس التيارات الفكرية، إذ كان دائماً يقول كن كالفرجار، بمعني إحدى قدمي ثابتة في جذوري الثقافية، والقدم الأخرى تتحرك بحرية في كل مكان تبحث عن قواسم مشتركة.
وكان من نتائج النداء الذي أطلقه كولن ما يلي:

- أصبحت هذه الأنشطة الحوارية مؤسسات، كمثال لذلك (وقف الصحافيين والكتاب)، والذي نظم عدة منتديات منها، منتدى حوار المثقفين فيما بينهم، منتدى حوار الأديان والثقافات والحضارات، منتدى حوار الصحافيين والإعلاميين.
- اكتشفت التيارات الفكرية المتباينة، أن هناك ميادين ومساحات واسعة للتعايش والتحاور.
- نشأت جمعيات للحوار داخل وخارج تركيا، في أمريكا، استراليا، وكلها جمعيات للتواصل مع المسلم والإنسان غير المسلم للبحث عن قواسم إنسانية يمكن إقامة مشاريع عليها, لخدمة الجميع.

---

[1]. علي اونال: فتح الله كولن ومقومات مشروعه الحضاري ، دار النيل للطباعة والنشر، 2015م، ص105.
[2]. فتح الله كولن: الموشور، ج 1 دار النيل للطباعة والنشر، ترجمة عبد الرازق احمد محمد، 2015م، ص181.
[3]. فتح الله كولن: الموازين أو أضواء على الطريق, مصدر سابق

إشارات ختامية:

بعد دراسة عوامل التغير الاجتماعي في فكر كولن أمكننا الخروج بعدد من النتائج هي:

- إن ميلاد الأمة والحضارة مشروط بإحياء القيم الدينية التي يؤمن بها المجتمع، وربطها بالعلم والصناعة والاقتصاد والثقافة وغيرها.
- إن الفاعل الاجتماعي يعتبر من أهم عوامل التغير الاجتماعي عند كولن، وهو يعني أن الفرد كفاعل بشري يسهم في إعمال التغيير بقدر ما ينخرط في بناء مجتمعه, كعامل ومنتج في ميدان اختصاصه وحقل اشتغاله.
- إن النهوض والتغير الاجتماعي الحقيقي مرهون بالجمع بين العلم من جهة والقيم الدينية من جهة أخرى.
- إن منظومة القيم لها الأهمية المركزية في مسألة بناء وتغيير المجتمع. أنها تحرك وتتحكم على سلوك الإنسان، وبدونها أي القيم الأخلاقية يصبح الإنسان أقرب إلى الحيوان منه إلى الإنسان.
- يتوقف التغير في أي مجتمع من المجتمعات على ما يتعرض له من خبرات ترتبط بالتربية الدينية، والتعليم المتكامل مع الدين. واشتغال أفراد المجتمع بقاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المراجع

اولاً المصادر:

1. القرآن الكريم

ثانياً: المراجع:

2. انتوني غدنز، علم الاجتماع. ترجمة فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة بيروت، الطبعة الاولي ، 2005م
3. حسن الترابي: التفسير التوحيدي، الجزء الأول، دار الساقي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2004م، ص 280.
4. حصة منصور: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، دراسة موضوعية (WWW.VB. TAFSIR .NET, ACCESED ON 10.6.2016)
5. رجب قايماقجان، مفهوم التربية الشمولية لكولن وانعكاساته على المدارس, من كتاب مستقبل الاصلاح في العالم الاسلامي: خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية، 2009م, ص350.
6. سمير بودينار، فلسفة التعليم عند كولن: السباحة في المجال الحيوي, من كتاب:مستقبل الاصلاح في العالم الاسلامي، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الاولى، 2009م، ص331
7. سمير نعيم، النظرية في علم الاجتماع, 1992م
8. عبد الملك القاسم: الركن السادس من أركان الإسلام...الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر WWW. AR.ISLAMWAY.NET
9. علي اونال: فتح الله كولن ومقومات مشروعه الحضاري، دار النيل للطباعة والنشر،2015م، ص105.
10. علي بولاج، الخدمة من أجل التغيير: البرامج والاليات، الدين في تركيا والتغيرات الاجتماعية وفتح الله كولن, من كتاب مستقبل الاصلاح في العالم الاسلامي، خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، 2011، ص284.
11. فادية عمر الجولاني ، التغيير الاجتماعي : مدخل النظرية الوظيفية لتحليل التغيير، دار الإصلاح للنشر ، المملكة العربية السعودية ، الدمام ، 1984م ، ص 88.
12. فتح الله كولن: طرق الإرشاد في الفكر والحياة ، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.
13. فتح الله كولن: الموازين: أضواء على الطريق ، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة.
14. فتح الله كولن: الموشور، ج 1 دار النيل للطباعة والنشر، ترجمة عبد الرازق احمد محمد، 2015م، ص181.
15. فتح الله كولن: ترانيم روح وأشجان قلب. دار النيل للطباعة والنش، القاهرة, 2006م.
16. فتح الله كولن: ونحن نبني حضارتنا. نرجمة عوني عمر، دار النيل للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، 2011م.
17. محمد محمد امزيان: مناهج البحث بين الوضعية والمعيارية.المعهد العالمي للفكر الاسلامي، فرجينيا، 1981.
18. محمد موسى البر، ومحمد نور موسى: نظام الحسبة في الإسلام: دراسة في إصلاح المجتمع، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي, القاهرة, 2014م، ص 22.
19. مريم ايت أحمد: إستراتيجية البناء الحضاري في فكر فتح الله كولن، مجلة حراء عدد 54 مارس –ابريل 2016م، 17.